الباب الثّالث

هو وهي

إصرار

طلبت من زوجها أن يتزوّج بامرأة ثانية، فلا يرضيها أن يكمل حياته معها، والحسرة تنهش بمخالبها قلبه وفرحه، فأبى واستنكر...

رفعت لواء الإلحاح في وجهه، وإن لم يفعل ستكسر بعصاه زجاج صندوق الأحلام المخبّأة داخله أوراق ما خطّطاه لحياتهما العائليّة.

خضع لرغبتها ، وتزوّج بمن اختارتها لتكون أمّا لأولاده.

أخفت مشاعرها وامتصّت ما وسوس به شيطان الغيرة إلى أن حبا الطّفل، فحبت المرارة نحو قلبها... ومع أولى خطواته خطت نحو المحكمة مصرّة على الطّلاق.

حرَج

سألها ممازحا: لمَ تحبينني رغم أنّي لا أملك ما تملكين من..؟

قاطعته قائلة: حبّك لي هو أغلى ما يكون...

تزوّجا وعاشا سعيدين منسجمين .

دعاهما أحد الأطبّاء للسّهر في أحد الأماكن الهادئة، وأثناء تناول الطّعام اتّسع الحديث حول "الحمية الغذائيّة"، فكان للمصطلحات ضجيج كاصطدام الملاعق بالصّحون، ولم يستطع أن يأتي بلقمة ممّا مضغها فكر الأطبّاء حين حاولوا إشراكه.

غاظه الأمر فطلب من زوجه عدم الانغماس في الموضوع. تغيّرت سحنتها وقالت:

ليس ذنبي أنّك لا تفهم ما نقول.. لا تحرجني أمام زملائي الأطبّاء. أنا هنا أحقّق ذاتي ورغباتي، لن يمنعني انزعاجك من ذلك، وبإمكانك فعل ما تشاء..

وعد

وعدته أن تخلص له إلى أن يفرّق الموت بينهما، فشعر أنّ الكون وما فيه ملك يديه.

اضطرّه عمله إلى مغادرة بلدته لعدّة شهور.. ولم تبعده المسافات عنها لكثرة ما هاتفها للاطمئنان عليها.

عندما عاد من سفره استقبلته بحفاوة ثمّ سألته:

هل تلبّي لي ما أطلب بعد هذا الغياب؟ فأجاب:

مؤكّد يا عزيزتي.. بإمكانك أن تثقي بالاستجابة.

أريد الطّلاق؛ لأنّ خطيبي الأوّل قد طلّق زوجته، ويريد الزّواج منّي!

إغراء

نسّقت الزّهور في الآنية بعد أن قطفتها بيدها الحانية لتزيّن بها مائدة عشقهما، وتثير في نفسيهما حب الحياة، بعد أن خبا فتيلها إثر نكسة جعلتها خاوية.

أظهرت له الودّ وتبرّجت بلطيف الكلام، وكانت جواهرها رقّة الإحساس وشفيف الخيال.. لم يلق لها بالا ونهض حاملا دثار الإهمال سائلا إيّاها:

متى ستدعينني أنام دون بهرج القول وزخرف المكان؟

وفيما هو داخل غرفة نومهما، أصغى لصوت ناعم يصدر عن التّلفاز، فوقف منصتا ومبعدا غبش النّعاس هامسا في أعماقه:

يا لها من امرأة فاتنة الجمال، رهيفة المشاعر تسرّ البال؟!

رقّة

كان قيس بن الملوّح في حديثه، فأذهلتها الرّقّة التي فاح شذاها غامرة أجواء حياتها، وطارت فرحا تنفّض جسدها ممّا علق به من عجاج صحارى الأيّام..

وعند أوّل خلاف وجدته الحجّاج!

انتقام

سمعت زوجها وهو يحدّث جارهما عن سماعه موعظة للدّكتور عائض القرني يقول فيها :

"إذا غضبت زوجتك فلا تغضب، بل قل لها أنت صادقة وأنا مذنب، وأرجو أن تعتقي رقبتي هذا اليوم لوجه الله... أو اخرُج من البيت حتّى تهدأ"، وأخبره أنّه سيتّبع نصيحته .

فاضت أسارير وجهها بِشرا، حيث حان الوقت لتنتقم منه بعد الإهانات التي أدمت كرابيجها شرايين قلبها وروحها، عقب كلّ غضبة واحتجاج .

أرهقه تطاولها الزّائد؛ مطمئنّة لتأثّره بموعظة الشّيخ إلى أن أفلت منه حبل السّيطرة فصاح بها :

أعتقتك إلى الأبد ... أنت طالق.

شوق

مرّ بجانب حانوت، فلفتت نظرَهَ الحُمرةُ التي تلفّ مجسّمات القلوب بأحجامها المتنوّعة، وعبقُ رائحة الأزهار الجميلة، والعشاق المتزاحمون على الباب...

حنّ لأيّام عشقه فأرسل رسالة (S.M.S) عبر هاتفه كتب فيها:

أحبّك. واشتقت إليك كثيرا يا عزيزتي...

دهشت الزوجة حين قرأت الرّسالة، وكتبت تردّ بغضب:

أيّها السّارق، أعد الهاتف النّقال لزوجي.!

دعوة

دعاها لاعتلاء قارب حياته بعدما أيقن أنّها الرّبان الذي سيوجّه دفّة السّعادة الباحث عنها طويلا... أغدق عليها من ندى مشاعره مرطّبا جفاف عواطفها المتشقّقة عطشا لحبّ كريم.. تردّدت حين أحسّت أنّ شيطان الإغواء يوجّهها صوب المحرّم ولا يعقل أن تكسر قفل مأساتها يدٌ من نصيب غيرها.

ظلّ يراودها مستغلّا ما عرفه عنها من شحّ ينابيع حياتها حتّى أضعفها وأوقعها في بحر هواه، فراحت تحلّق بمناطيد الجمال التي وضعها بها.

أخبرت صديقتها عن حياتها الجديدة برفقة عاشق مميّز، فسعدت صديقتها بالخبر، وأفشت لها سرّها عن علاقتها بصديق ينسيها همومها ويساندها، ودعتها للتّعرّف عليه.

لبّت الدّعوة مسرورة.. دخلت المكان فوقع نظرها على صاحبتها وهي ممسكة بيد الرّجل.. تراجعت إلى الخلف ماسحة دمعات حرّى وأسندت ظهرها على أحد الجدران القريبة قائلة:

لا يمكن للخيانة أن تكون بديل الأمانة!

رسائل

فاجأتها صديقتها وهي تهمّ بمحو الرّسائل الإلكترونيّة التي جمّعتها في ملفّ اعتزّت به سابقا، واستأذنتها بالقراءة قبل المحو.

ذهلت ولم تكمل قراءتها وقالت لها:

أيعقل هذا؟.. لقد كتبت هذه الرّسائل الغراميّة لي.. فكيف وصلت إليك!

مسامحة

عاشا معا فترة طويلة، ولم يفلح أحدهما باختراق عالم الآخر وعرض ما يفكّر به على مائدة النّقاش، إلى أن هاجت مشاعر الزوجة في إحدى الأماسي عقب تصرّف لم يعجبها، فصرخت في وجه الزّوج:

كان يوم نحس ذاك الذي التقيتك فيه.. لم أعد أطيق رضوخي لسوداويّة حياتك، واستهتارك بالأمور.

أجاب ببرود أعصاب:

سامحك الله على كلّ ما تتقوّلين عليّ!

فتنة

سحره جمالها، وخلب لبّه قوامها، فذهب وانتشلها من براثن بيئة أوشكت على إفساد أخلاقها، ولم يلق بالًا لمن عاب أصلها ومزاياها.

توسّدت وثير الآمال، وافترشت سرير تحقيق الأحلام، وتسوّرت بأساور العزّ والدّلال..

اضطرّه عمله إلى مفارقتها شهرا من الزّمان، فعاد ليجدها في مرتع أعزّ الخلّان.

فراق

طوّق خصرها بيده، والبسمة لا تفارق شفتيه. سألته: لمَ طلّقت زوجتك؟ فأجاب:

لأنّ يدي لم يعد بإمكانها تطويق خصرها.

وجمت، وتذكّرت كم عانت خلال الأشهر الأخيرة كي تنحف لتشتري فستانا أعجبها.

نظرت إليه ثمّ أبعدت يده عنها، وولّت راكضة.

حبّ

تزوّج من أرملة أحبّها في فترة تعليمه، ولم يحظ بها لظروفه الاقتصاديّة الصّعبة.

خلال حديثهما كانت تكثر من المقارنة بينه وبين زوجها السّابق، حتّى ضاق ذرعا وطفح كيل تحمّله، وشعر أنّه لا يستحقّها.

أراد مفاجأتها لينسيها أمر هذه المقارنات، فدعاها لمرافقته في جولة لأحد المتنزّهات.

طلب منها أن تضع عصابة على عينيها، ودخلا وهو يمسك بيدها ثمّ أجلسها فوق قطعة من الرّخام أجفلتها برودتها، فنزعت العصابة وصاحت مذهولة:

ماذا فعلت بي؟ أهذا هو المكان الجميل؟!

أجابها:

هنيئا لك بزوجك السّابق وبأفضليّته!

تفاهم

تهاويتُ على الأريكة لشدّة إرهاقي، وتذمّري يَكسِر أذرع الصّمت الحاضنة بيتي، وتزعج زوجي التي اقتربت منّي وسألتني برقّة ممزوجة بالقلق:

ما الذي يغيظك يا غالي، وينسيك إلقاء التّحيّة واحتضاني؟

أجبتها وزفرة الأسى تضايقني:

لقد دخلت البيت منذ ساعتين، ولم أشأ إزعاجك، وقلبت المكتب رأسا على عقب باحثا عن أحد ملفّات حسابات المصنع، فلم أجده... صرخت فزعة: منذ ساعتين وأنت تبحث...؟! ثمّ هرولت نحو غرفة المكتبة.

راقصت الفرحة أعماقي بعد أن أخذ التّعب منّي كلّ مأخذ لاهتمامها بأمري، ولمّا تعتَدِ الحياة معي بعد...

أطالت المكوث هناك، فتبعتها خجلا لتسبّبي بانشغالها بقضايا عملي، وفجأة أحسست أنّ كلّابة الذّهول تكاد تطبق على أنفاسي حين صاحت بي:

لا زلت أنظّف وأبحث عن ذرّات الغبار التي تسبّبتَ في دخولها للغرفة بعد فتح النّافذة!

قسم

أقسم لها ليلة زفافهما أن يسعدها.. فوعدته أن تقطف زهرة تحتفظ بها كلّما أظهر لها حبّه، وتقتلع شوكة من أوراق شجيرة الصّبّار إذا ما أغضبها.

مرّت السّنون، فصادف أحد الأبناء صينيّة من القشّ في المخزن، استغرب ما تحويه، وأحضرها مستوضحا الأمر.

تضاحكت الأمّ وطلبت منه أنّ يعدّ الزّهرات.. بحث في كومة الأشواك، فلم يجد سوى ثلاث زهرات جافّات.

توبة

قرأ في جريدته الصّباحيّة خبرا أربكه، فترك فنجان قهوته وخرج.

في المساء، قرّر أن يفاجئ زوجه بقرار التّوبة عن التّقلّب في أسرّة الخيانة، وتقديم هديّة قيّمة لها.

دخل البيت فلم يرَ أحدا.. أكمل طريقه إلى غرفة النّوم، فصعقته الدّهشة!

دعوة

قال لها: ما بك يا عزيزتي تبنين من طين الحزن أكواخا يقبع فيها المارّون، بعد أن يصابوا بالصّدمة؟

أجابت: لأنّ الحياة أسكنتني في كهف القهر، حتّى بدا لي قصرا.

خفّف من حدّة لهجته وهمس لها : تعالي لنبني من حجارة قصر قهرك، وحديد قلعة صبري، حصنا تزينه جداريّات حروف الأمل، ويحيط به سور الحكمة، وفي الرّبيع تأوي إلى روضته عصافير عشق الجمال، ونحل الفكر والإبداع.

بعدما تمّ البناء ، دخله الجميع إلّا هي!

هشيم

عشّش عشقها في جوارحه، وأحاطها بسور من الحرص والعناية... فحظي منها بمشاعر جميلة، ونشر الودّ حريره أمامهما، لكنّ حبّ التّملّك جعله يراقب كلّ خطوة من خطواتها، ويفتعل لها الزّلل.

أشعلت فتيل التّذمّر في وجهه، فزاد من لفّها بأحزمة نيران غضبه وغيرته.

بعد فترة قصيرة، أضحت سنابل حبّ بيدرهما هشيما.

غرور

بين جرأة الإقدام ورهبة الإحجام، حام مدّة حول خليّة من سمّاها نحلة عشقه؛ متمنّيا أن يحظى بقرص الشّهد.

ذات ربيع، قدّمت له العسل بقارورة من فضّة تقديرا لطول انتظاره.

انتشى مزهوّا وقال:

أنا النّحّال الماهر.. وغير رحيق خمرة حبّي ما استساغت لتُعاقر.

قصيدة

سحره جمال عينيها، فكتب قصيدة حمّلها من جميل البديع وسحر البيان ما أسكر مشاعره إعجابا بما كتب..

دعاها للقاء ليقرأها على مسامعها، فسبحت عيونهما حين التّلاقي في بحر الأشواق واللّهفة، وكأنّهما مغرمان منذ مدّة..

في إحدى أمسياته الصّاخبة، رمته إحداهنّ بطرف عينها فأوقعته طريح الافتتان بها.

عاد إليها بعد وقت قليل ليخبرها أنّ جمالها أوحى له بقصيدة وراح يقرأها على مسامعها، فتضاحكت بعد انتهائه وقالت:

قصيدة رائعة، لكنّ عينيّ ليستا زرقاوين لتسبح في زرقة مائهما يا شاعري العزيز!

إعجاب

أعجب بها أيّما إعجاب، ثمّ أحبّها وبثّها مشاعر غرامه مقسما أنّها ليلاه التي انتظرَ..

هاتفته مرّة فكان خط الهاتف مشغولا.. اتّصلت بسكرتيرته لتخبره أن يتّصل بها، فشعرت أنّ الحظّ لا يحالفها.

في اليوم التّالي، تكرّر الأمر فوخزت مسامير الشّكّ قلب المعشوقة، وقرّرت الذّهاب إليه . لمّا وصلت المكتب، طلب منها الموظّف الانتظار؛ لأنّ المدير خرج لأمر طارئ برفقة إحداهنّ، وسيعود حالا..

انتظرت لحين عودته، فبهتت عندما رأته برفقة السّكرتيرة وخرجت مصعوقة تلسعها عقارب الخيانة.. ركض خلفها لشرح الأمر لكن عبثا..

في المساء، استلم صندوقا شُكَّت عليه ورقة كُتِب فيها:

خذ عنّي زخارف خدعتك!

تصديق

قالت له أمّه: لِمَ لا تتزوّج يا بنيّ عسى الله أن يفرج كربتك، وترزق بطفل يحمل اسمك؟

صمت لحظات ثمّ قال:

كيف سأنجب، وقد قرّر الأطبّاء عقمي؟

وفيما الزّوجة العاقر تدخل سمعت جملة زوجها، فانفرجت أسارير وجهها بعد انقباض دام فترة طويلة.

عرض عليها زوجها بعد مدّة أن يتابعا العلاج، ويجرّبا الطرق العلاجيّة الجديدة، فحدجته بنظرة مبدية استغرابها ثمّ قالت:

ولِمَ أذهب أنا للعلاج؟ ألم تخبر أمّك أنّك العقيم؟!

قدر

قالت له في صباح أوّل يوم جمعهما معا:

قيمتي منحني إيّاها قَدْرُك، وقَدْري كبير لأنّك قَدَري.

ابتسم وقال: وقوّتي تكمن في كونك قَدَري.

التقيا بعد سنة.. حدّق أحدهما في وجه الأخر، ثمّ أكملا سيرهما باتّجاهين متعاكسين!

جرح

عمل في مركز للإسعاف مضمّدا الجراح، مهدّئا النّفوس الهلعة،
ومداويا الأجساد الواهنة..
تعرّض لجرح من سكّين حبيبة قلبه، فلم يفلح في تضميده، وظلّ
ينزف وعيدا وتهديدا...

رآها صدفة أثناء سفره في القطار فحدّق فيها للحظات، ثمّ
أغمض عينيه بهدوء مسترجعا ذكرى ما كان!

جناحان

حلّق بجناحي الشّوق صوب من هيّجت قلبه، وسكنت خلايا روحه..

حمّلَ جناحا بمعسول الكلام وطيب الأحلام والآمال، وأثقله بزمرّد المشاعر، وشدّة الهيام.

وعلّق على الآخر ما سيعرضه من قليل المال ليحظى بصاحبة الحسن والجمال.

بعد سفر مرهق، عاد من ديار الأحباب مكسور الجناح.

كبرياء

جمعته الصّدفة بمن أعجبته وأدهشته، فتقرّب منها وأحبّ الارتباط بها، وبدأ ببذر قمح مغرياته أمامها؛ مختبرا خلقها مرّة، ومبهورا بها أخرى، لكنّها لم ترخ العنان لعواطفها بل أمسكتها بلجام من حديد، رغم أنّها عضّت على نواجذ رغبتها في التّمسّك به..

ذات لقاء أعياه عدم انصياعها له فخاطبها ممازحا: كبرياؤك يجعلك صخرة! فردّت:

* أليس في الكبرياء كَبُّ الرّياء، والكِبر عن كلّ ما يخدش الحياء؟!

هذيان

غمر مدّ الشّوق شواطئ الحنين إليه، فهرعت لقارب الهروب لتبحر إلى خلجان النّسيان..

تلاطمت أمواج الذّكريات تؤرجح مركبها ذات اليمين وذات الشّمال.. مال الشّراع فغرقت وهي تهذي بحروف اسمه!

طعام

أطعم فم الرّذيلة تفاحة الفضيلة كلّما جاءه شيطانها جائعا؛ كي لا تجرّه رجلاه إلى كرم عنب الهاوية.

ذات ليلة، صرخت الفضيلة وولولت، ذهل ولم يدرِ كيف يسكتها!

استفاق صباحا ومرارة حنظل المعصية تكاد تخنقه.

تسوّل

أجبره الجوع العاطفيّ، وفشل حياته الزّوجيّة أن يبحث عن فتات لسدّ الرّمق في موائد قلوب نساء أخريات. أفلح في الإيجاد، وركن في زوايا المتعة يمضغ اللّقيمات الحلوة المدغدغة لمشاعره ببطء واستمتاع.

بعد حين، أيقن أنّ ما فعله تسوّل مهين أفقده الخلق القويم.

رصاصة شوق

اخترقت رصاصة الشّوق درع الحماية، فمزّقت شرايين الصّبر، وأسالت دم الفؤاد مهتاجا باحثا عمّا يعيد لحمرته الدّاكنة البهجة... تأجّجت المشاعر لجمرته وصهلت طالبة إرواء الظّمأ...

عرّج كثيرا، لكنّه عاد مثقِلا شرايينه بدهون اللّوعة؛ تاركا المشاعر تعوي...